

الفتح

قصة قصيرة ٢



تأليف: آزال العباسي



طرق الباب ثلاث طرقات متتالية.

ثم ساد الصمت.

اقتربت الأم من الباب بحذر، ونظرت من العين السحرية.

لم يكن هناك أحد.

فتحت الباب قليلاً، فوجدت ظرفاً أبيض مبللاً بالمطر عند العتبة.

التقطته بسرعة وأغلقت الباب.

كانت يدها ترتجف.

في تلك اللحظة، جاءت ابنتها راكضة.

كانت في السابعة من عمرها.

نظرت إلى الظرف، ثم صاحت بسعادة:

— أبي أرسل رسالة مرة أخرى!

توقفت الأم.

حاولت أن تخفي ارتباكها، ثم فتحت الظرف.

لم تكن هناك رسالة.

كانت ورقة رسمية، تتوسطها عبارة كبيرة مختومة باللون الأحمر:

الإنذار الأخير.

قرأت الأم السطر الأول، فتغير وجهها.

كان عليها أن تسلّم ابنتها لو ألغى لقرار قضائي صدر بعد أن رفضت مرات عديدة السماح له برؤيتها.

طوت الورقة بسرعة.

سألتها الطفلة:

— ماذا كتب أبي؟

— لا شيء.

— أريد أن أقرأها.

— قلت لك لا شيء.

سكتت الطفلة.

جلست الأم على طرف الأريكة، وأخذت تحقق في الباب.

كانت تعرف أن هذه المرة مختلفة.

في المرات السابقة، كانت تستطيع إغلاق الباب والانتظار حتى يرحلوا.

أما الآن، فقد وصل الإنذار الأخير.

سمعت صوتًا في الخارج.

رفعت رأسها.

لم يكن هناك شيء.

نظرت إلى النافذة.

ثم إلى ابنتها.

وفجأة قالت:

— هل تريد أن نلعب لعبة السر؟

ابتسمت الطفلة.

— نعم!

جلست الأم أمامها وأمسكت يدها.

— لكن هذه المرة لها شروط.

— ما هي؟

— أولاً، لا تخبري أحداً بما سأقوله لك.

— حاضر.

— ثانيًا، مهما سمعت، لا تصرخي.

— حاضر.

— ثالثًا، إذا جاء شخص إلى البيت، تبقيين بجانبتي وتمسكين يدي.

هزت الطفلة رأسها.

— حاضر يا أمي.

ترددت الأم قبل أن تضيف:

— وإذا طلب منك أحد أن تذهبي معه، لا تذهبي.

نظرت الطفلة إليها بحيرة.

— حتى لو كان أبي؟

لم تجب الأم.

اكتفت بقول:

— تذكري... إنها لعبة.

مرت دقائق ثقيلة.

ثم سُمعت خطوات في الممر.

بطيئة.

منتظمة.

توقفت أمام الباب.

تجمدت الأم.

اقتربت ابنتها منها وأمسكت يدها.

ثم جاءت طرقة واحدة.

قال صوت رجل من خلف الباب:

— تنفيذ القرار الرسمي.

تراجعت الأم خطوة.

نظرت إلى الباب.

ثم إلى النافذة.

بدأت أنفاسها تتسارع.

طرقة ثانية.

— افتحي الباب.

شدت الأم يد ابنتها.

همست:

— سنخرج من هنا.

— إلى أين؟

— فقط تعالي.

ركضتا نحو المطبخ.

فتحت الأم النافذة، ونظرت إلى الأسفل.

كانت المسافة مرتفعة، لكنها لم تتراجع.

رفعت قدمها نحو حافة النافذة.

وفجأة جاءها صوت من خلفها:

— لو كنت مكانك... لما فعلت ذلك.

تجمدت.

استدارت ببطء.

كان رجل يقف عند باب المطبخ.

قال:

— ارفعي يديك.

رفعت الأم يديها.

دخل الرجل الأول من باب الشقة، ثم ظهر رجل ثالث.

وأخيراً...

ظهر الأب.

تراجعت الأم حتى اصطدمت بالحائط.

— أنت؟

نظر الأب إلى النافذة المفتوحة، ثم قال بهدوء:

— كنت أعرف أنك ستختارينها.

نظرت إليه الأم بعدم فهم.

— كيف؟

قال:

— لأنك فعلت الشيء نفسه في المرة السابقة.

صمتت.

تذكرت.

الفخ

في المرة السابقة، عندما جاء لتنفيذ القرار، هربت بابنتها من نافذة المطبخ نفسها.
خففت الأم عينيها.

بدأت تفهم.

لم تكن النافذة صدفة.

ولم يكن وجود الرجل في المطبخ صدفة.

كل شيء كان معدًا.

لكن الأب لم يجبرها على الهرب.

لقد جعلها خوفها تفعل ذلك بنفسها.

قال الأب:

— لم نكن نريد إيذاءك.

ثم نظر إلى ابنته.

— كنا نريد فقط أن نتأكد أنك لن تهربي بها مرة أخرى.

نظرت الأم إلى الورقة التي تركتها فوق الطاولة.

الإنذار الأخير.

ثم نظرت إلى الباب.

ثم إلى النافذة.

وفهمت أخيرًا.

كان بإمكانها أن تبقى في مكانها، أو تفتح الباب، أو تواجه القرار.

لكنها اختارت الهرب.

ولم تكن تعرف أن اختيارها هو بالضبط ما كانوا ينتظرونه.

اقتربت الطفلة من أبيها وقالت ببراءة:

— أبي... هل انتهت اللعبة؟

ابتسم الأب وحملها بين ذراعيه.

— نعم، انتهت.

نظرت الطفلة إلى أمها.

— هل فرنا؟

الفخ

لم تجب الأم.
كانت تحقق في النافذة المفتوحة.
في تلك اللحظة، أدركت أن الفخ لم يكن في الظرف...
ولا في الإنذار...
ولا حتى في الرجال الذين دخلوا المنزل.
كان الفخ في داخلها.
كان خوفها هو الذي اختار الطريق...
وهو الذي قادها بنفسه إلى الفخ.

